

أبو الحسن الندوي

الفتاوى
نورة على النبوة المحمدية والإسلام

المختار الإسلامي

للطباعة والنشر والتوزيع

ص.ب ١٧٠٧ القاهرة

هاتف ٩٣٦٤٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم

أريد أن أتحدث الى القارئ العزيز فى هذه الرسالة عن قضية تهيم كل مسلم فى أى بلد كان ، لأنها قضية لها اتصال كبير ببعض مبادئ الاسلام الأساسية ، ويخاف أن تستفحل هذه القضية يوما من الأيام - لو تغافل عنها المسلمون - فتهدد العالم الاسلامى كله ، وتتحدى النظام الاسلامى كله ، ويغلب المسلمين على أمرهم .

ان الاضطرابات الأخيرة التى حصلت فى باكستان والتى شغلت بها البلاد حكومة وشعبا ، قد استرعت انتباه المسلمين للقاديانية التى كادوا ينسونها . ولعل كثيرا منهم تعجب وتسائل : هل تبلغ هذه المسألة من الأهمية والخطر هذا المبلغ ، وتكون الشغل الشاغل للبلاد والمقيم المقعد لها ؟ ولكنها مع الأسف كذلك .

ان هذه المسألة قد شغلت الفكر الاسلامى فى باكستان بحق ، وهى مسألة مقلقة تواجه الكيان الاسلامى ومستقبل الدولة الفتاة ، والذين يعيشون خارج ذلك القطر قلما يعرفون خطرها وجلالتها واتصالها بالحياة الاسلامية فى هذا البلد الناهض . ان هذه المسألة ليست رمزا للطائفية الضيقة أو

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية

١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م

العصبية الدينية كما يتخيل كثير من الناس . بل هي في صميم المصلحة الإسلامية وحياة المسلمين ، واليك بعض التفصيل :

قد تحقق علميا وتاريخيا أن القاديانية وليدة السياسة الانجليزية فقد أهم بريطانيا وأقلقها حركة المجاهد الشهير السيد الامام أحمد بن عرفان الشهيد (١٢٤٦ هـ) ، وكيف الهب شعلة الجهاد والفداء ، وبث روح النخوة الإسلامية والحماسة الإسلامية في صدور المسلمين في الربع الأول من القرن التاسع عشر المسيحي ، وكيف التف حوله وحول دعايته آلاف من المسلمين عانت منهم الحكومة الانجليزية في الهند مصاعب عظيمة ، وكانوا موضع اهتمامها . ورأت السيد محمد أحمد السوداني يقوم في السودان باسم الجهاد والمهدوية ، فكاد يقضى على الحكم الانجليزي في السودان . وكانت شرارة دينية حسب لها الانجليز كل حساب . ثم رأت دعوة السيد جمال الدين الأفغاني تنتشر في العالم الاسلامي . كل ذلك رأته الحكومة الانجليزية ودرسته . وعرفت أن طبيعة المسلمين طبيعية دينية ، فالدين هو الذي يثيرها ، والدين هو الذي يخدرها ، وان المسلمين لا يؤتون الا من قبل العقيدة والاقناع الديني وما يكون له طابع ديني ، واقتنعت اخيرا بأنه لا يؤثر في المسلمين وفي اتجاههم مثل ما يؤثر قيام رجل منهم باسم منصب ديني رفيع ، ويجمع حوله المسلمين ويخدم سياسة الانجليز . ويؤمنهم من جهة المسلمين وغائلتهم . وفي شخص مرزا غلام أحمد القادياني - الذي كان مضطرب الأفكار

والعقيدة (١) ، وكان طموحا الى أن يؤسس ديانة جديدة ويكون له أتباع ومؤمنون ، ويكون له مجد واسع في التاريخ مثل ما كان للنبي صلى الله عليه وسلم - وجد الانجليز وكيلا لهم يعمل بين المسلمين لمصلحتهم ، ولم يزل يتدرج من التجديد الى المهدوية ومن المهدوية الى المسيحية ومن المسيحية الى النبوة ، حتى تم ما أراده الانجليز ، وقام القادياني بدوره وبما كلف به خير قيام ، وحملاه الانجليز ومكنوه من نشر دعوته ، وحفظ القادياني هذه اليد وعرف غرس غرسه الحكومة الانجليزية (٢) وقد ذكر في مؤلفاته بكل الفضل للانجليز في ظهوره ، وقد صرح في بعض كتاباته بأنه صراحة - بل بكل وقاحة - ما يدين به للحكومة الانجليزية من الولاء والوفاء ، وما قام لها به من خدمة مشكورة ، واليك ترجمته حرفيا :

(١) اجتمع في هذا الرجل ثلاث خصال يتحير المؤرخ أيها كانت في المسكنة الأولى والدافع الحقيقي : أولاها الطموح الى تبوء الزعامة الدينية والاستيلاء على العالم الاسلامي باسم النبوة . وثانيها المايلخوليا التي لها شواهد وبيئات تفيض بها كتبه وتراجمه ، وقد تواتر ذلك عنه واستفاض . والثالثة - وهي أدهى وأمر - الأغراض السياسية الغامضة وخدمة الحكومة البريطانية والعمل لمصلحتها . راجع دائرة المعارف القاديانية « قادياني مذهب » للأستاذ محمد الياس البرني .

(٢) ذكر ذلك غلام أحمد في التماسه الذي قدمه الى حاكم مقاطعة بنجاب الانجليزي يوم ١٤ فبراير عام ١٨٩٨ وجاء نصه في كتاب « تبليغ رسالة » المجلد السابع لمير قاسم علي القادياني .

« لقد قضيت معظم عمري في تأييد الحكومة الانجليزية ونصرتها ، وقد الفت في منع الجهاد ووجوب طاعة أولى الأمر الانجليز من الكتب والنشرات ما لو جمع بعضها الى بعض لملا خمسين خزانة ، وقد نشرت جميع هذه الكتب في البلاد العربية ومصر والشام وكابل والروم » . (ترياق القلوب تأليف غلام أحمد القادياني ص ١٥) .

ويقول في محل آخر :

« لقد ظللت منذ حداثة سنى - وقد ناهزت اليوم الستين - أجاهد بلساني وقلمي لأصرف قلوب المسلمين الى الاخلاص للحكومة الانجليزية والنصح لها والعطف عليها ، وأنفى فكرة (الجهاد) التي يدين بها بعض جهالهم والتي تمنعهم من الاخلاص لهذه الحكومة » . (ملحق بكتاب « شهادة القرآن » من قلم غلام أحمد القادياني الطبعة السادسة ص ١٠) .

ويقول في نفس الكتاب : « أنا مؤمن بأنه كلما ازداد أتباعي وكثر عددهم قل المؤمنون بالجهاد ، لأنه يلزم من الايمان بأنى مسيح أو مهدى انكار الجهاد » . (ص ١٧) .

وقال في محل آخر : « لقد ألفت عشرات من الكتب العربية والفارسية والأردية وبينت فيها انه لا يحل (الجهاد) أصلا ضد الحكومة الانجليزية التي أحسنت إلينا . بل - بالعكس من ذلك - يجب على كل مسلم أن يطيع هذه الحكومة بكل اخلاص ، وقد انفتحت على طبع هذه الكتب

أموالا كبيرة وارسلتها الى البلاد الاسلامية وأنا عارف أن هذه الكتب قد أثرت تأثيرا عظيما في أهل هذه البلاد (الهند) وقد كون أتباعى جماعة تفيض قلوبهم اخلاصا لهذه الحكومة والنصح لها ، انهم على جانب عظيم من الاخلاص ، وأنا أعتقد انهم بركة لهذه البلاد ومخلصون لهذه الحكومة الانجليزية - يقلم غلام أحمد) .

وقد أمدت هذه الحركة وهذه الفئة الحكومة الانجليزية بخير الجواسيس لمصالحها ، وبأصدقاء أوفياء ومتطوعين متحمسين كانوا موضع ثقة الحكومة الانجليزية ومن خيار رجالها ، خدموا الحكومة الانجليزية في الهند وخارج الهند ، وبذلو نفوسهم ودمائهم في سبيلها بسخاء . كعبد اللطيف القادياني الذي كان في أفغانستان يدعو الى القاديانية ويستنكر (الجهاد) . وخافت حكومة أفغانستان أن تقضى دعوته على عاطفة الجهاد والروح الحربية التي يمتاز بها الشعب الأفغانى فقتلته ، كذلك الملا عبد الحليم والملا نور على القاديانيان عثرت الحكومة الأفغانية عندهما على رسائل ووثائق تدل على انهما وكيلان للحكومة الانجليزية ، وانهما يدبران مؤامرة ضد الحكومة الأفغانية ، وكان جزاؤهما القتل كما صرح بذلك وزير داخلية أفغانستان سنة ١٩٢٥ م ، ونقل ذلك جريدة « الفضل » وهى صحيفة القاديانيين الرسمية بسرور واعجاب فى ٣ مارس من ذلك العام .

وبقيت الجماعة القاديانية فى عهد مؤسسها وبعده فى

معزل عن جميع الحركات الوطنية وحركة التحرير والجلاد
في الهند ، صامته ، بل شامته ، لما دهم العالم الاسلامي من
رزايا ونكبات على يد المستعمرين الأوروبيين وعلى رأسهم
الانجليز مقتصرة على آثار المناقشات الدينية والمباحثات
حول موت المسيح وحياته ونزوله ونبوة غلام أحمد ، مما لا
اتصال له بالحياة العامة والمسائل الاسلامية والحركات التي
كانت مظهرا للغيرة الاسلامية والشعور السياسي في هذه
البلاد .

وقد فزع لهذه الفتنة القاديانية علماء الاسلام وقادة
الفكر في الهند فحاربوها بأقلامهم ، وألسنتهم ، وعلمهم ،
وذلك أقصى ما كان يمكن في عهد الدولة الانجليزية التي تبنت
هذه الديانة والجماعة ، وكان في مقدمة هؤلاء المجاهدين
الشيخ محمد حسين البتالوي ، ومولانا محمد علي المونكري
مؤسس ندوة العلماء والشيخ ثناء الله الأمر تسري والشيخ
أنور شاه الكشميري . ومن أنشط الجمعيات والجماعات في
محاربة هذه الفئة الباغية جمعية الأحرار وعلى رأسها وفي
مقدمتها الخطيب المصقع السيد عطاء الله البخاري الأمر تسري .

ومن هؤلاء الموفقين المفكر الاسلامي العظيم الدكتور محمد
اقبال الذي صرح في مؤلفاته بأن (القاديانية ثورة على نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم) و (مؤامرة ضد الاسلام) و
(ديانة مستقلة) ، وان القاديانية أمة وحدها ليست جزءا
من الأمة الاسلامية العظيمة ، ولا يخفى أن الدكتور محمد

اقبال هو من كبار المثقفين المنورين الذين أنجبهم العالم
الاسلامي في العصر الأخير ، ومن كبار الدعاة الى الاتحاد
الاسلامي في العصر الأخير ، ومن كبار الدعاة الى الاتحاد
المجاورة (١) ، ولإطلاعه الواسع الدقيق على الديانة القاديانية
وأهدافها ومراميها - كان من أكبر المنكرين عليها ، وهو أول
من دعا الى فصل القاديانيين عن المسلمين واعتبارهم أقلية
غير مسلمة . وإلى القارىء بعض الملتقطات من محاضراته
ومقالاته :

قال الدكتور في رسالة وجهها إلى كبرى صحف الهند
الانجليزية Statesman التي أشرت هذه المسألة في
« ان القاديانية محاولة منظمة لتأسيس طائفة جديدة
على أساس نبوة منافسة لنبوة محمد صلى الله عليه
وسلم » (٢) .
وجاء في رده على كلمة البندت جواهر لال نهرو رئيس
وزراء الهند الراحل الذي تسلمت الرسالة إلى بلع المسلمين على
فصل القاديانية عن الإسلام وهي طائفة من طوائف المسلمين

(١) يشترك مؤسس القاديانية والعلامة محمد اقبال في الوطنية فكلاهما
من بنجاب ، وصاحب البيت أدري بما فيه (ولا يتبنك مثل خير) .
(٢) نشرت الصحيفة هذه الكلمة في عددها الصادر في ١٠ يونيو
١٩٣٥ م .

الكثيرة (١) ؟ ، قال الدكتور :

« ان القاديانية تريد أن تنحت من أمة النبي العربي صلى الله عليه وسلم أمة جديدة للنبي الهندي » .

وذكر انها أشد خطرا على الحياة الاجتماعية للإسلام في الهند من عقائد اسبنوزا Spinoza الفيلسوف اليهودي الثائر على نظام اليهود » .

وقد شرح الله صدر محمد اقبال لأهمية عقيدة ختم النبوة وانها حارسه لكيان المجتمع الاسلامي ، ووحدة الأمة الاسلامية ، وان الثورة على هذه العقيدة لا تستحق أى مسامحة وهوادة ، لأنها تعمل كمعول هدام فى أساس الصرح الاسلامي الشامخ . يقول فى رسالته الموجهة الى Statesman المذكور :

« ان عقيدة أن محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين هي الخط الفاصل Line of demarcation بكل دقة بين الدين

(١). مما تهم معرفته أن الزعماء الوطنيين فى الهند قد رحبوا بالفكرة القاديانية لأنها تفيض على الهند القداسة وتولى وجه المسلمين شطر الهند عوضا عن الحجاز ! فيتخذونها قبلة ومركزا روحيا ، وتقوى فيهم (الوطنية) بما يتخيلون ... وقد كانت تبعض الصحف الهندوكية الكبيرة أيام اضطرابات باكستان تعطف على القاديانيين ، ونشر مقالات فى تأييدهم ، وتبين لقرائها وجوب تأييد القاديانيين أزاء الجمهور الاسلامي وتذكر أن الخلاف فى باكستان بين القاديانيين والمسلمين صراع وتنافس : بين النبوة العربية وأتباعها ، والنبوة الهندية وأتباعها !

الاسلامى والديانات الأخرى التى تشارك المسلمين فى عقيدة التوحيد والموافقة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم . ولكنها تقول باستمرار الوحي وبقاء النبوة كبر همو سماج فى الهند ، وبهذا الخط الفاصل يستطيع الانسان أن يحكم على طائفة بالاتصال بالاسلام أو الانفصال عنه ، ولا أعرف فى التاريخ طائفة مسلمة اجتثأت على تخطى هذا الخط . ان البهائية فى ايران أنكرت عقيدة ختم النبوة ، ولكنها أعلنت بصراحة أنها طائفة مستقلة ليست مسلمة بمعنى الكلمة المصطلح عليها » .

« اننا نعتقد أن الاسلام دين أوحى الله به ، ولكن وجود الاسلام كمجتمع أو أمة يتوقف على شخصية محمد صلى الله عليه وسلم ، وليس للقاديانية الا أن يختاروا أحد الأمرين : اما أن يتبعوا البهائية فى انفصالها عن المسلمين ، واما أن يتخلوا عن تفسيراتهم المتطرفة لفكرة ختم النبوة فى الاسلام . ان تأويلاتهم السياسية لا تنم الا عن حرصهم على البقاء فى محيط المسلمين ليستغلوا هذا الأسم وينتفعوا بفوائد سياسية لا تحصل الا باسم المسلمين » .

وقال فى محل آخر « ان كل مجتمع يتفصل عن الاسلام وله طابع ديني يقوم على أساس نبوة جديدة ، ويعلن بكفر جميع المسلمين الذين لا يصدقون بهذه النبوة المزعومة ، يجب أن ينظر اليه المسلمون كخطر جسد على سلامة الاسلام ان نهوض المجتمع الاسلامي لا يقوم الا على عقيدة ختم النبوة » .

بقى القاديانيون مشغولين بالمناظرات ، واثارة الشكوك

والشبهات في المسلمين ، وفتنتهم ، وخدمة السياسة الانجليزية ومركزهم (قاديان) في بنجاب بمديرية « كور داسور » ، وهم لا يحملون بالحصول على قوة سياسية كبيرة لانهم لم يساهموا في سياسة البلاد الحرة وفي الكفاح الوطني ، ولأنها قلة ضئيلة مغمورة بكثرة من المسلمين ، ولا يطمعون بطبيعة الحال في دولة يكون لهم فيها الحول والطول والكلمة النافذة ، حتى تأسست دولة باكستان عام ١٩٤٧ فكان لهم ذلك من غير أن يريقوا قطرة دم ، كان ذلك عن طريق عجيب واليك التفصيل :

انقسمت الهند ، وتكونت باكستان ، وفرضت الحكومة الانجليزية - الراحلة عن الهند - ظفر الله خان على باكستان ، وهو من أبرز الشخصيات الصديقة للانجليز ، بل من غرسهم وصنائعهم ، وهي تعلن انه هو الرجل الوحيد الذي يضمن مصالح الانجليز في هذا القطر ويربطه بعجلة بريطانيا . وقد خدع السيد محمد علي جناح ، أو بالأصح اضطر لأن يقبله كوزير في حكومة باكستان ، وأن يقبله كوزير للخارجية ، لأنها هي الوزارة التي تهم الحكومة الانجليزية وحليفاتها ، وهي التي تقدم وتؤخر في السياسة ، وهي التي توجه البلاد كما يشاء الانجليز وكما تشاء مصالحهم السياسية ، وبها يستطيعون أن يملوا سياستهم على الشرق الاوسط ، لأن باكستان كبرى الدول الاسلامية في العالم . فكان ظفر الله خان وزير الخارجية في دولة يعتقد أن أغلبية سكانها كفار لا يؤمنون بنبوة غلام أحمد ، وهو الذي يفرضه عليه دينه وعقيدته ، فقد صرح غلام أحمد وخلفاؤه بأن المسلمين الذين

لا يؤمنون بهذا الدين الجديد كفار لا تجوز الصلاة خلفهم ، وتحرم مناكرتهم ، ويعاملون معاملة الكفار . يقول مرزا بشير الدين غلام أحمد وهو الخليفة الحالي في كتابه (آيينه صداقت) : ان كل مسلم لم يدخل في بيعة المسيح الموعود سواء سمع باسمه أو لم يسمع - كافر وخارج عن دائرة الاسلام (ص ٣٥) . وقد صرح امام المحكمة بذلك ، وقال : اننا نؤمن بنبوة مرزا أحمد ، وغير الاحمديين - يعني القاديانيين - لا يؤمنون بنبوته ، ويصرح القرآن بأن كل من يجحد بنبوة أحد من الانبياء هو كافر ، فغير الاحمديين كفار (الفضل) . ويحكي عن غلام أحمد نفسه انه قال : « اننا نخالف المسلمين في كل شيء : في الله ، في الرسول ، في القرآن ، في الصلاة ، في الصوم ، في الحج ، والزكاة . وبيننا وبينهم خلاف جوهري في كل ذلك » (الفضل ٣٠ يولية ١٩٣١) وقد مات الزعيم محمد علي جناح ولم يصل عليه (ظفر الله) يحكم هذه العقيدة .

انتهز ظفر الله خان فرصة سلطته بكل حزم وعزم ، فشن وزارة الخارجية ، والمفوضيات في عواصم العالم بالقاديانيين ، ودسهم في مصالح الحكومة الاخرى ، وسلطهم على رقاب الموظفين المسلمين يتحكمون فيهم كما يشاءون ، ويستغلون وظائفهم لنشر ديانتهم ، والذي لا يقبل يستهدف للاهمال والظلم .

وكان أشد من ذلك وأعظم خطرا أن القاديانيين تسربوا

فى الجيوش الباكستانية واحتلوا مناصب خطيرة فى الجيش وفى البوليس وفى مصلحة الطيران وكونوا فيها أكثرية ساحقة بحيث يستطيعون أن يحدثوا ثورة فى مصلحتهم ويقبضوا على زمام الحكم متى شاءوا .

وقد كونوا اماره حرة فى بنجاب تسمى (الربوة) (١)، وهى مستعمرة قاديانية لا توظف فيها الحكومة غير قاديانى أبداً ، حتى على محطة الربوة ، ويمكن أن تشبه الربوة فى باكستان ، بإسرائيل فى فلسطين ، وكلاهما جائم على صدر المسلمين وقائم منهم بالمرصاد .

كل ذلك أفزع المفكرين المسلمين فى باكستان ، ورأوا فيه الخطر المحدق على باكستان ، وسيغا مصلتا على رقبته ، ووكالة للمصالح البريطانية فى صميم البلاد ، وسوسا ينخر فى الصرح الإسلامى ، خلافا لقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر) ، فرأوا أن الحل الحاسم لهذه المشكلة أن تفصل القاديانية المحتلة عن المجتمع الإسلامى ، وأن تعاملها الحكومة كأقلية غير مسلمة ، وهى الفكرة التى دعا إليها الدكتور محمد اقبال رحمه الله بقوة وصراحة ، وكررها فى محاضراته

(١) سموها الربوة ليطبقوا عليها قوله تعالى (وآويناها الى ربوة ذات قرار ومعين) ، وهذا هو المنطق القاديانى المعروف .

ومقالاته ورسائله ، وقد صرح بأن القاديانية أبعد عن الاسلام من السك Sikhs متعصبى الهنادك ، وقد جعلتهم الحكومة الانجليزية أقلية غير هندوكية رغم ما بين هذه الاقلية والهنادك من صلات اجتماعية ودينية وثقافية ، وانهم يتناكحون فيما بينهم بينما القاديانية تحرم مناكة المسلمين ومصاهرتهم ، وقد حظر عليهم مؤسستهم كل ارتباط بالمسلمين بقوله : « ان المسلمين لبن فاسد ، ونحن اللبن الطازج ! »

رأى المسلمون فى باكستان كل هذا ، وآمنوا بأنه لايمكن أن تكون دولتهم حرة فى سياستها وتصرفاتها وفى تنفيذ ما تقتضيه مصالحها السياسية وطبيعتها الاسلامية الا اذا تحررت - فى سياستها وداخليتها - من النفوذ الاجنبى ووكلاته ، وقد كان لياقت على خان رحمه الله قد بدأ يشعر فى آخر حياته بهذا الخطر . وكان غير مرتاح لهذا الوضع ، ثم كان شعوره هذا من أسباب اغتياله كما يقول المطلعون .

كل ذلك حمل الجماعات الاسلامية والاحزاب المختلفة والشخصيات الدينية على الاهتمام بهذه المسألة ، فاجتمع منهم ثلاثة وثلاثون ممثلا من رؤساء الجمعيات والجماعات الدينية وكبار علماء باكستان فى يناير عام ١٩٥٣ فى كراتشى وطلبوا من الحكومة أن تجعل القاديانيين أقلية غير مسلمة لها حقوقها ، وأن تخصص لهم ما يستحقون حسب عددهم من المقاعد فى البرلمان الباكستانى وما يستحقون من الوظائف

فى مختلف المصالح والادارات ، حتى لا يستولوا على أداة الحكومة والجهاز الادارى فى باكستان ، ولا يضايقوا المسلمين فى دولتهم التى أسسوها بدمائهم وأشلائهم •

وتصاممت الحكومة عن هذه المطالبة العادلة الصارخة • ولم تعرها شيئاً من العناية ، فاضطر قادة الفكرة الى حركة عامة تبدى السخط العام وتقنع الحكومة بتغلغل هذه الفكرة والرغبة فى طبقات الجمهور ، وكانت حركة شعبية هائلة لم تشهد البلاد مثلها منذ زمن بعيد •

وأفرغت الحكومة جعبتها لقمع هذه الحركة التى سمتها الثورة على باكستان ، وما هى بثورة ، انما هى مطالبة شعب هادئ وفى لحكومته مخلص متفان فى خدمتها والدفاع عنها • وطلبت الحكومة الجيوش وركبت رأسها فى قمع ما تسميه الثورة ، وزجت آلاف من العلماء ورجال الدين فى السجون ، وبقيت بلاد بنجاب - وهى مركز الحركة - تحت رحمة الجنود تعامل من تشاء بما تشاء ، وكان للاهور النصيب الاكبر من هذه المحنة ، وقد دام الحكم العسكرى فيها أكثر من شهرين وقع خلالهما من حوادث الفتك والبطش والقسوة ما يتخطى القياس • وحأكت حكومة باكستان زعماء الفكرة محاكمة عسكرية ، وحكمت على بعضهم بالاعدام ، وكان منهم السيد أبو الاعلى المودودى أمير الجماعة الاسلامية فى باكستان ، فصدر عليه الحكم بالاعدام من المحكمة العسكرية فى لاهور ، ثم أبدل ذلك الحكم من غد بالحبس أربعين سنة

عاما مع الاشغال الشاقة ، وكانت جريمته انه ألف رسالة باسم (القاديانية) ذكر فيها موقف القاديانية من الاسلام والمسلمين ، وذكر موجبات جعل القاديانية أقلية غير مسلمة فى باكستان ، كل ذلك فى أسلوب علمى نزيه ، وانتشرت هذه الرسالة انتشارا كبيرا فى الجمهور ، وحكم على زملائه وقادة الجماعة بعقوبات شاقة طويلة (١) •

هذا والحق أن القاديانية - مع الاسف - لم يظن العالم الاسلامى لخطرها بعد ، ولم ينته الى أنها ليست مجرد عقيدة : أو طائفة دينية فحسب ، وانما هى مؤامرة منظمة ضد النظام الاسلامى القائم ، وثورة مكررة على الاسلام الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ومعاندة له • انها تراحم الاسلام فى كل شئ ، وتريد أن تحل محله فى العقيدة والفكر

(١) الرأى السائد فى باكستان أن الحكومة انتهزت هذه الفرصة للتخلص من الجماعة الاسلامية لأنها لا تزال تطالب بتنفيذ الدستور الاسلامى الذى وعدت به هذه الدولة ومنعت ، وعلى أساسه قامت ، وبالتوجيه الاسلامى فى مناحى الحكومة وميادين الحياة • وقد دانت الحكومة الباكستانية فى شخص ولاية الامور بمبدأ فصل الدين عن السياسة وعن الحكومة الدينية (Secular State) وهى الآن تترسم خطا الجمهورية التركية وتتبع السياسة الكمالية بصرامة وسرعة • ومن الغريب أن حكومة باكستان تحارب كل جماعة تحاسبها على اتجاهها بالبلاد اتجاهها لادينيا وتطالب بتطبيق المبادئ الاسلامية ونظام الحياة الاسلامى ، وفى نفس الوقت تحمى العنصر القاديانى الذى يتزعمه ظفر الله خان • وهكذا أصبحت باكستان بين خطرين : اما أن تكون فريسة للادينية ، واما أن ترتدى فى أحضان القاديانية •

والعاطفة • وأن تستولى على نصيبه من الطاعة والحب والاحترام والتقديس • انها تتبجح باعلان تفضيل الغلام القادياني على أكثر الانبياء أولى العزم من الرسل فضلا عن الصحابة وأولياء هذه الامة ومجديها وأئمتها ، ولا تعترف بفرق بين أصحابه وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، انها تقول بمساواته لسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وزيادة ، ومساواة خلفائه للخلفاء الراشدين ، ومساواة بلده قاديان بمكة والمدينة شرفهما الله ، ومساواة الحج الى قاديان بالحج الى مكة •

ففي كتاب « حقيقة النبوة » لمرزا بشير أحمد الخليفة الثاني : « ان غلام أحمد أفضل من بعض أولى العزم من الرسل » (ص ٢٥٧) •

وفي صحيفة « الفضل » المجلد الرابع عشر (٢٩ ابريل سنة ١٩٢٧) « انه كان أفضل من كثير من الانبياء ، ويمكن أن يكون أفضل من جميع الانبياء » •

وفي صحيفة « الفضل » المجلد الخامس « لم يكن فرق بين أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وتلاميذ مرزا غلام أحمد ، الا أن أولئك رجال البعثة الاولى وهؤلاء رجال البعثة الثانية » ، (عدد ٩٢ يوم ٢٩ مايو سنة ١٨١٨) •

وفي صحيفة « الفضل » المجلد الثالث : مرزا هو محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو مصداق قوله « اسمه أحمد »

(أنوار الخلافة ص ٢١) • بل وتقول بفضله على سيد الأولين والآخرين عليه الصلاة والسلام ، فيقول غلام أحمد نفسه في الخطبة الالهامية ص ١٧٧ : « لقد تجلت روحانية النبي صلى الله عليه وسلم في الالف الخامس (كذا) بصفات اجمالية ، ولم تكن الروحانيات قد بلغت غايتها وأوجها في ذلك العهد القاصر ، بل كانت الخطوة الاولى في سبيل ارتقاؤها وكمالها ، ثم تجلت هذه الروحانية في الالف السادس (زمن « المسيح الموعود » غلام أحمد) في أبهى حللها وأرقى مظاهرها » ويزيد فينشد متطولا :

له خسف القمر المنير وان لي

غسا القمران المشرقان ، أتنكر (١)

ومما جاء في فضل مدفن غلام أحمد ومساواته لمدفن سيد الرسل صلى الله عليه وسلم في كتب القاديانيين وصحفهم ما نشرته صحيفة (الفضل) في عدد ١٨٤٨ من المجلد العاشر الصادر في ديسمبر سنة ١٩٢٢ اعلانا عن قسم التربية في قاديان : « ان الذي يزور قبة المسيح الموعود البيضاء يساهم في البركات التي تختص بقبة النبي الخضراء في المدينة • فما أشقى الرجل الذي يحرم نفسه من هذا التمتع في الحج الاكبر الى قاديان » •

(١) اعجاز أحمدى ٧١ •

ويعتقد القاديانيون أن قاديان هي ثلاثة المقامات الثلاثة المقدسة . يقول محمود أحمد خليفة قاديان : « لقد قدس الله هذه المقامات الثلاث (مكة والمدينة وقاديان) واختار هذه الثلاث لظهور تجلياته » . (الفضل ٣ سبتمبر سنة ١٩٣٥)

وتتقدم القاديانية خطوة أخرى فتطبق على قاديان ما نزل من الآيات في بلد الله الحرام والمسجد الأقصى المبارك ، يقول غلام أحمد في حاشيته على (براهين أحمدية) ان قوله تعالى : « ومن دخله كان آمنا » ، يصدق على مسجد قاديان (ص ٥٥٨) .

ويقول في شعر ما ترجمته بالعربية : « ان أرض قاديان تستحق الاحترام ، وانها من هجوم الخلق أرض الحرم » (١) (« در ثمين » مجموع كلمات غلام أحمد ص ٥٢) .

وجاء في صحيفة (الفضل) المجلد العشرين عدد ٣٣ : « ان المراد بالمسجد الأقصى في قوله تعالى : (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله) هو مسجد قاديان (٢) ، واذا كانت

(١) أى ان المستعمرين الانجليز لما كانوا في زمانه محتلين الديار الهندية تعهدوا له بحماية أرض قاديان من اقتحام المسلمين لها ، فهي أرض حرم بحماية الانجليز لها كما أن مكة أرض الحرم بحماية الله لها .
(٢) ولكن قاديان هذه التي يزعم غلام أحمد أنها وردت فيها هذه الآيات كانت ولا تزال في قسم الهند بعد التقسيم ، وجلا عنها القاديانيون ، وانتقل المركز وتعلل الحج . والله في خلقه شئون .

قاديان تناهض البلد الحرام وربما تفوق عليه فلا بد أن السفر اليها يساوى الحج بل يفوق عليه ، وقد جاء في صحيفة « الفضل » المجلد العشرين عدد ٦٦ : « الحج الى قاديان حج ظلى الى البيت الحرام » وزادت على ذلك صحيفة « سيغام صلح » لسان حال الفرع اللاهوري فنشرت « ان الحج الى مكة بغير الحج الى قاديان حج جاف خشيب ، لأن الحج الى مكة اليوم لا يؤدي رسالته ولا يفي بغرضه » (المجلد ٢١ عدد ٣٣) .

وهكذا ترشح القاديانية نفسها لتكون دينا عالميا له نبيه ، وأصحابه وخلفاؤه ، ومقدساته ، وتاريخه ، وشخصياته ، وأدبه . وتقطع صلة أتباعها ومعتنقيها عن التراث الاسلامي الخالد ، وعن التاريخ الاسلامي ، وعن الشخصيات الاسلامية ، وعن منابع الاسلام الاولى ومصادره ، وعن المقدسات الاسلامية ، وعن مركز الاسلام الروحي . وتعوض عن كل ذلك - ومعاذ الله أن يعوض شيء من ذلك - بما انتحلته أو ادعته هي الاخرى . وهكذا ينصرف الانسان عن التضلع من حب النبي العربي صلى الله عليه وسلم . والتفاني في طاعته ، واللهج بذكره ، ودراسة سيرته ، واقتفاء آثاره - ينصرف عن كل ذلك الى التشجيع بحب « النبي القادياني » المزعوم ، والتغنى بمجده وعبقريته ! ؟ ودراسة تاريخه ، وتتبع آثاره ، كما يتجلى ذلك في الادب القادياني .

وينصرف عن التاريخ الاسلامي الرائع - الذي هو تاريخ

الايمان ، والبطولة ، والانسانية السامية - الى تاريخ كله
حديث الاستكانة والتزلف لدى الحكام الحائرين والحكومات
الغاشمية ، والتملق والجاسوسية . وعن الشخصيات
الاسلامية التى هى رأس مال الانسانية وقرة عين البشرية ،
وعن رجال هم أطواد الفضيلة وعماليق التاريخ ، الى رجال
أقزام فقايع لا يحسنون غير لغة العبيد . ولا يعرفون صناعة
غير صناعة الغدر والمكر وبيع الذم والضماير . وعن الادب
الاسلامى الزاخر الذى يتدفق قوة وحيوية . الى أدب مهلهل
سخيف لا يرى فيه الانسان الا الاسلوب الركيك ، والكلام
البذئ ، والسب القبيح والتناقض الفاضح ، والكذب السافر ،
والدعاوى العريضة الطويلة . والتأويلات الصبائية المضحكة ،
والنبوءات التى لم تتحقق ولن تتحقق أبدا . وعن بلد هو
منزل الوحى . ومهبط الملائكة ومدرسة الانسانية ، الى بلد
هو عش الجاسوسية ، ومركز الطابور الخامس فى الامة
الاسلامية . وماخور الدعارة والفسوق . وهكذا تستبدل هذه
الامة القاديانية الجديدة كل شر بكل خير : بنس للظالمين
بدلا .

ان القاديانية منبع الفساد ، والعلة فى جسم العالم
الاسلامى ، تنفث فى شرايينه وعروقه سموم الخنوع ، والجبن
والتملق والخضوع ، للمستعمرين الاوربيين . والركون الى
الظالمين الذين أفسدوا فى البلاد . وملأوا أرض الله جورا
وظلما ، واستعبدوا المسلمين .

ان القاديانية تنشر فى العالم الاسلامى الفوضى الفكرية ،
وعدم الثقة بمصادر الاسلام الصحيحة ، ومراجعته ، وسلفه ،
وتقطع صلة هذه الامة عن ماضيها وعن خير أيامها وأفضل
رجالها ، وتفتح الباب للدعيااء والمتطفلين والمتنبئين على
مصراعيه ، وتسئ الظن بقوة الاسلام وحيويته وانتاجه ،
وتؤيس المسلمين من مستقبلهم .

ان القاديانية تصرف عناية المسلمين عن المسائل العالمية ،
واقامة الوصايا العادلة على البشرية التى هيأ الله هذه الامة
لها ، الى مسائل تافهة تربط هذه الامة العظيمة بعجلة احدى
الامم الاوربية التى نشأت هذه النابتة فى حضانتها وبوحيا .

ان القاديانية قد هبطت بمستوى الانسانية الى
الحضيض بتتويجها مثل غلام أحمد فى نذالته وسخافته ،
وترشيحها اياه لمنصب النبوة العظمى ، بقدر ما رفع الله
بمحمد صلى الله عليه وسلم مستوى الانسانية ، وزاد فى
قدرها وشرفها بنبوته الشاملة الرحيمة ، فكانت القاديانية
جناية على الانسانية كلها ، واساءة الى كرامة الانسان لا تغتفر
ولا تنسى فى التاريخ .

ان المسألة ليست مسألة قطر أو دولة ، وليست مسألة
محلية أو داخلية ، انما هى مسألة العالم الاسلامى كله ، هى

مسألة العقيدة الإسلامية وكرامة الرسول وشرف الإنسانية ،
ولا خير في ملك الأرض كله اذا انهارت هذه العقيدة ، واذا
تحديث هذه الكرامة ، واذا ضاع هذا الشرف •

هذه حقائق راهنة لم تملها - علم الله - الا الحميصة
الدينية والتألم العميق ، والاشفاق من المستقبل الرهيب •
فمعدرة الى من يريد أن يعيش في الاوهام والاحلام ، ويغالط
في الحقائق نفسه • والى من يستهين بالعقيدة والدين ، ويؤثر
الدنيا على الآخرة •

رقم الايداع بدار الكتب

١٩٧٥/٣٣٧٣

مطبعة أطلس

١١ ، ١٣ ش سوق التوفيقية - القاهرة